



حورية بقلم رفيف خوري

تعبير يعاظم



أخرى غير حريتي وحدي . لو وقفت على هذه النافذة
فنظرت في داخل هذا الكوخ ، لرأيت فتى مشدوداً الى
سرى قد حطمت ساقه ! ولو طرت الى نافذة الكوخ
الآخر ، لرأيت فتاة قد كسرت في ظهرها فقرة ، فهي
ملقاة لا تستطيع حراكاً . ثم لو انتقلت الى الكوخ الثالث
لرأيت امرأة لابسة السواد تتأمل ، خلال غشاء من الدموع
صورة رجل مات ، قُتل . وكل هذا في سبيل الحرية !
أتاهم دخلاء ، مستعمرون ، أطلقوا عليهم الرصاص ،
لأنهم طلبوا حرية ، ارادوا وطناً يأكلون فيه لقمة الخبز ،
ولا يضغطهم ، ولا يُغضتهم ، نر ولا كابوس .
الحسون الطليق : لا أرى كيف يبهجك ذلك ؟ وكيف
يعوضك من حريتك .

الحسون الحبيس : ألا ترى أنني أشرح صدور هؤلاء
بنشيدتي ؟ أفتح قلوبهم للحبور والغبطة ، أذكّرهم بالحياة
وبالسعادة وبالنصر ! فلا تقل بعد اليوم اني مسكين .
الحسون الطليق : حقاً يا أخي ، لست في حاجة الى
الشفقة ما دمت قد عرفت حرية أسمى ، فقيدت نفسك
في سبيل حرية غيرك ، وسعدت بتلك السعادة العظمى .
فأذن لي ان ارافقك في النشيد .
(وهنا ارتفع في داخل الكوخ ، صوت الفتى المحطّم
الساق ينادي اخته :)

— أمينه ! أمينه ! انظري ما بال الحسون قد سكت
عن التغريد ؟ لا اريده ان يسكت . ان نشيده في سمعي
نشيد الحياة والأمل والنصر .

(ولكن ما لبث ان انطلق بالتغريد هذه المرة حسونان
لا حسون واحد ، فقال الفتى :)

— ها ! ان نشيد الحياة والنصر يتعاضم !

رفيف خوري

المناظر : كوخ قد شابت أحشابه وتشققت ، يلاصق
صفاً من اكواخٍ تماثله في حيّ بائس من أحياء العمال ،
في إحدى العواصم العربية .

وشمس ربيعية مشرقة تغمر الكوخ ، وتندفق اليه من
نافذة ، عُلق بمسار فيها قفصٌ أُقفل على حسون ؛
ولكنّ الحسون يغرد مجتهداً لمجنجرة فضية صافية ، ويلمع
ريشه في بهاء الضوء .

ويقبل حسون آخر طليق في الفضاء فيجثم على حافة
سطح الكوخ فوق قفص الحسون الحبيس .

الحسون الطليق : ماذا ؟ أتكون أنت هنا ؟ لقد قلت
في نفسي : إنني أعرف هذا الصوت . ثم صدق ظني ،
فما الذي أوقعك في هذا الحبس ، وعلّقتك في هذا الحي
الموحش ، بين هذه الأكواخ البالية ؟ مسكين أنت يا
أخي ، مسكين ! أين أنت من حب السنبيل ، والثمار
الحلوة ، وديدان الأرض ، تنقرها ؟ أين أنت من السفوح
الخضراء ، والنسيم المرسل العطر ، والزهور توجج بالوانها ،
والسواقي تثرثر بالخانها ؟

الحسون الحبيس (يقطع تغريده وينظر الى رفيقه على
حافة السطح) : حقاً ، يا أخي ، ان السجن لعسير ،
والحياة في الأسر تغم وتخزن . على أي لا أعدم نور
الشمس كما ترى ولا يعوزني غذاء ولا ماء يقدمان لي في
مواقيت لا تحلف : ثم اني ، في هذا القفص ، لا أحشى
الحررة ولا الجوارح المفترسة .

الحسون الطليق : على أن هذا كلة أتفه من ان يغني
عن الحرية ! وأي شيء يغني عن الحرية ؟
الحسون الحبيس : صدقت . لكن في الحياة حرية